

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور، أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد يُحيي و يميت و هو على كل شيء قدير. و أشهد أن محمداً عبده و رسوله، خير الخلق و البشر. أشهد أنه بَلَّغَ الرِّسَالَةَ و نصح الأمة و دعى إلى الله حتى أتاه اليقين. صلى الله عليه و سلم، و على آله و أصحابه، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين و سلم تسليماً كثيراً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ النساء: ١

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ آل عمران. 102

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أما بعد:

ألا إن خير الكلام كلام الله، و خير الهدي، هدي محمد بن عبد الله. و إن شر الأمور محدثاتها و كل مُحدثَةٍ بدعة و كل بدعة ضلالة.

تعرضنا في الخطبة الماضية إلى موضوع المروعة و قمنا بعرض بعض تعريفات أهل العلم للمروعة و نتابع اليوم في نفس الموضوع لنعرض لبعض الشروط أو الأسباب التي يجب أن تتوفر في الشخص أو في تصرفاته حتى يكتسب المروعة مع نفسه أولاً ثم مع الآخرين.

سئل الفضيل عن الرجل الكامل التام المروعة، فقال: الكامل: من برَّ والديه، و وصل رَحِمه، و أكرم إخوانه، و حَسُنَ خُلُقُه، و أحرز دينه، و أصلح ماله، و أنفق من فضله، و حَسُنَ لسانه، و لزم بيته. قال الشاعر:

إذا الفتى جمع المروعة و التقى و حوى مع الأدب الحياء فقد كمل

و سُئِلَ بعض الحكماء عن الفرق بين العقل و المروعة، فقال: العقل يأمرك بالأنفع، و المروعة تأمرك بالأجمل و الأرفع.

و اعلم أخي في الله: أن للمروعة شروط يجب أن تُستوفى. منها شروط يلتزم المرء بها مع نفسه و شروط أخرى يلتزم بها المرء مع غيره.

قال بعض الشعراء:

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها      هواناً بها كانت على الناس أهونا

ففسك أكرمها و إن ضاق مسكن      عليك لها فاطلب لنفسك مسكناً

و إياك و السكنى بمنزل ذلّة      يُعدُّ مسيناً فيه من كان محسناً

فمن شروط مروعة المرء مع نفسه: العفة، و النزاهة، و الصيانة. و شروط المروعة في غيره: المعاونة (الموازرة، و المياسرة، و الإفضال).

أما شروط مروعة المرء مع نفسه: فبعد إلتزام ما أوجبه الشرع من أحكامه، فيكون بثلاثة أمور، و هي العفة، و النزاهة، و الصيانة.

1- فأما العفة: بأن يضبط المرء فرجه عن الحرام و يكف اللسان عن الأعراس و يكف عن المجاهرة بالظلم و زجر النفس عن الإسرار بخيانة. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: مَنْ يَضْمَنَ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ. رواه البخاري.

2- و أما النزاهة: فتكون بالتنزّه عن المطامع الدنيّة و النزاهة عن مواقف الرّيبة. أما النزاهة عن مواقف الرّيبة، فهذا رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هو أبعد خلق الله عن الرّيب، و أصونهم من التهم ... وقف مع صفة أم المؤمنين - زوجته - ذات ليلة على باب المسجد يحادثها، و كان معتكفاً، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَخْتَلِعَ فِي قَلْبِهِ شَيْئًا مِنْ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمْ سُوءًا، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

قال النبي صلى الله عليه و سلم:

ازهد في الدنيا يُحِبُّكَ اللهُ، و ازهد فيما أيدي الناس يحبوك. صحيح - ابن ماجه.

3- و أما صيانة النفس: فتكون بالتماس كفايتها و عدم الحاجة للناس، لأن المحتاج إلى الناس كلُّ مُهْتَضَمٍ، و دليل مستثقل، و على طالب المروعة أن يطلب كفايته، و يسدَّ حاجته من الوجوه المباحة و تقدير مادَّتها و تدبير كفايته، فإنَّ يسيرَ المال مع حُسن التقدير و إصابة التدبير: أجدى نفعاً و أحسن موقعاً، من كثيره مع سوء التدبير و فساد التدبير. و صيانة النفس عن تحمُّل المِنِّ لَأَمْرٍ عَظِيمٍ، لَأَنَّ المِنَّةَ استرقاق الأحرار، فإن استطعت ألا يكون بينك و بين الله ذو نعمة فافعل، و لا تكن عبدَ غيرك و قد جعلك الله حراً. يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم: اليدُ العليا خيرٌ من اليدِ السفلى ، اليدُ العليا المعطيةُ ، واليدُ السفلى يدُ السائلِ. مسند الإمام أحمد و إسناده صحيح.

و أما شروط مروعة المرء مع غيره: فتكون

بالمعاونة (أي المؤازرة)، و المياسرة (أي السماحة و السهولة)، و الإفضال (أي الإنفاق من فضل المال):

1- فأما المؤازرة (المعاونة): فتكون بالجاه و المال و البدن. فهي إسعافٌ و النجدةُ في النوائب و البذل بالمال و الجاه و البدن. و تكون المؤازرة واجبةً للأهل و الإخوان و الجيران و تكون تبرعاً لغيرهم. فتجب في حقوق المروعة، و شروط الكرم في هؤلاء الأصناف الثلاثة (الأهل و الإخوان و الجيران): تحمُّل أثقالهم، و إسعافهم. فليس من المروعة تركُ هؤلاء الأصناف الثلاثة أن يسألوا غيرك و أنت ذا مروعة و قد قال الشاعر:

حقُّ على السيِّدِ المرجوِّ نائلُهُ      و المستجار به في العُربِ و العَجَمِ  
ألا يُنيل الأَقاصي صوبَ1 راحتهِ      حتى يَخْصَّ بهِ الأدنى مِنَ الخدمِ  
إنَّ الفرات إذا جاشتْ عَواريهُ2      روى السواحل ثمَّ امتدَّ في الأُممِ.

2- و المياسرة (وهي السماحة و السهولة). تكون بالعفو عن الزلَّات و المسامحة في الحقوق. قال النبي صلى الله عليه و سلم: ( رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمَحًا إذا باعَ، وإذا اشْتَرَى، وإذا اقْتَضَى.) أخرجه البخاري. و قالت الحكماء: لا صديقَ لمن أراد صديقاً لا عيب فيه.

1 الصوب: المطر، و المراد به العطاء  
2 الغوارب: جمع غارب، و هي الأمواج العالية.

قال ابن الوردي في لاميته ابن:

و تغافل عن أمورٍ إنه لم يفز بالحمد إلا من عَقَلَ

ليس يخلو المرء من ضدٍ و إن حاول الغزلة في رأس الجبل

و روي عن بعض السلف قولهم: تسعة أعشار حُسن الخلق في التغافل.

فاعلم أخي أن العفو و العقوبة بمنزلة الجود و البخل، فتمسك بأيّهما شئت.

3- الإفضال (أي الإنفاق من فضل المال): ذو المروءة يجود بماله، لتأليف قلب، أو صيانة عرض من

الحُساد و الحاقدين و السفهاء. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إنَّ الله كريمٌ يُحبُّ الكرماء ،

جوادٌ يُحبُّ الجودَةَ ، يُحبُّ معالي الأخلاق ، و يكره سفسافها<sup>3</sup>.

قال عمر بن عبد العزيز: ما طاوعني الناس على شيءٍ أردته من الحق، حتى بسطت لهم طرفاً من

الدنيا.

قال بعض الأعراب:

من جمَعَ المالَ و لم يجذُ بهِ و جمَعَ المالَ لعامِ جذبهِ

هانَ على الناسِ هوانِ كلبه.

و للمروءة درجات كما ذكر ابن القيم: و هي ثلاثة:

الدرجة الأولى: مروءة المرء مع نفسه: و هي أن يحملها قسراً على ما يُجَمَلُ و يُزَيَّن، و تُرك ما يدنِّس

و يَشِين، ليصير لها ملكة في العلانية. فَمَن أراد شيئاً في سرِّه و خلوته: ملكه جهره و علانيته، فلا

يكشف عورته في الخلوة، و لا يتجشأ بصوت مزعج ما وجد إلى خلفه سبيلاً، و لا يُخرج الريحَ بصوتٍ

و هو يقدر على خلفه، و لا يجشعُ و ينهم عند أكله وحده. و بالجملة لا يفعل خالياً ما يستحي من فعله

في الملاء، إلا ما لا يحظره الشرع والعقل، و لا يكون إلا في الخلوة، كالجماع و التخلي و نحو ذلك.

الدرجة الثانية: المروءة مع الخلق:

<sup>3</sup> صحيح: في صحيح الجامع للألباني.

بأن يستعمل معهم شروط الأدب و الحياء، و الخلق الجميل، و لا يُظهر لهم ما يكرهه هو من غيره  
لنفسه، و لِيَتَّخِذَ النَّاسَ مِرَاةً لِنَفْسِهِ. فكل ما كرهه و نفر عنه، من قول أو فعل أو خُلُق، فليتجنبه. و ما  
أحبه من ذلك و استحسنة فليفعله.

و صاحب هذه البصيرة ينتفع بكلّ من خالطه و صاحبه من كامل و ناقص، سيئ الخلق و حسنه، و  
عديم المروءة و عزيزها.

و كثير من الناس: يتعلّم المروءة، و مكارم الأخلاق من الموصوفين بأضدادها، كما روي عن بعض  
الأكابر: أنه كان له مملوك سيئ الخلق، فظّ غليظ، لا يُناسبه، فسئل عن ذلك؟ فقال: أدرس عليه مكارم  
الأخلاق.

و هذا يكون بمعرفة مكارم الأخلاق في ضدّ أخلاقه، و يكون بتمرين النفس على مصاحبته و معاشرته،  
و الصبر عليه.

الدرجة الثالثة: المروءة مع الحقّ سبحانه:

بالاستحياء من نظره إليك، و اطلاعه عليك في كل لحظة و نفس، و إصلاح عيوب نفسك جهد الإمكان،  
فإنه قد اشتراها منك، و أنت ساعٍ في تسليم المبيع، و تقاضي الثمن، و ليس من المروءة: تسليمه على  
ما فيه من العيوب، و تقاضي الثمن كاملاً، بالرغم من رؤية منته سبحانه و تعالى و معيته لعباده و  
جوده و سعة كرمه.

أقول ما سمعتم و أستغفرُ الله العظيم لي و لكم فيا فوز المستغفرين.